ثنائية الموت والحياة في قصائد جيكور للسياب

أ.د. يحيى أحمد محمد الزهراني

قسم اللغة العربية وآدابها في الكلية الجامعية في القنفذة

جامعة أم القرى

أستاذ الأدب والنقد بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

عميد كلية المعلمين وعميد الكلية الجامعية

عضو الجمعية السعودية للأدب العربي

البريد الإلكتروني Email : dr.yaz14@gmail.com

الكلمات المفتاحية: بدر شاكر السياب– ثنائية الموت والحياة– قصائد جيكور–القرية والمدينة.

كيفية اقتباس البحث

الزهراني ، يحيى أحمد محمد، ثنائية الموت والحياة في قصائد جيكور للسياب، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية،٢٠٢١، المجلد:١١ ،العدد:١ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The duality of death and life in Jecor poems Siab

Prof. Yahya Ahmed Mohammed Alzahrani
Professor of literature and criticism at Umm Al-Qura University in Makkah
Dean of Teachers College and Dean of the College
Member of the Saudi Society for Arabic Literature

Keywords : Badr Shaker Al-Sayyab - the duality of death and life - Jaikor's poems - the village and the city.

How To Cite This Article
Alzahrani, Yahya Ahmed Mohammed, The duality of death and life in Jecor poems Siab, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, Year :2021,Volume:11,Issue 1.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Search Summary

This research deals with the duality of death and life in Jekur's poems of Siab, and in the absence of a previous study on this subject (the duality of death and life in jikur's poems of siab), the study dealt with these poems and their dualities, and the suggestions and shades of these binaries, And the embodiment of the reality of the siab, and the relationship of his poetic experience to his psychological, social and ideological state, as the study turned to objective equations embodied by these binaries, the researcher has resorted to the descriptive analytical approach, using some other approaches whenever the study calls for it.

As evidenced by the combination of death and death in the dimensions of the poetic experience of the siab, accurately expressing an instinctive sense of fear of death, it is as if his talk of this mixture is in fact a lament for himself.

In his poetic experience in Jikor's poems, Al-Sayab sought to triumph over the death that haunted him and lurked behind him, as much as he tried to overcome the barriers and troubles of life, and to combine the siab between the mention of death and life in many citizens, to show the contrast between them through his own vision of them, and his call for the idea of life to die and to die in life.
The study revealed a close psychological connection between the poet and Jikur;
The research includes an introduction, and three investigations: the motives of the duality of death and life, the overlapping of death and life, and the duality of the village and the civil. The researcher has reached several conclusions, including that there are several motives and motives that led the siab to the duality of death and life, as well as external ones, including the inner self and complemented each other, and these results were referred to in the conclusion of the research.

ملخص البحث

يتناول هذا البحث ثنائية الموت والحياة في قصائد جيكور للسياب، ولعدم وجود دراسة سابقة في هذا الموضوع (ثنائية الموت والحياة في قصائد جيكور للسياب) فقد تناولت الدراسة تلك القصائد وما فيها من ثنائيات، وما توحي به تلك الثنائيات من إيحاءات وظلال، وتجسيد لواقع السياب، وعلاقة تجربته الشعرية بحالته النفسية، والاجتماعية والايدلوجية، كما التفتت الدراسة إلى المعادلات الموضوعية التي تجسدها تلك الثنائيات، وقد عمد الباحث إلى المنهج الوصفي التحليلي، مع الاستعانة ببعض المناهج الأخرى كلما استدعت الدراسة ذلك.

كما يتضح امتزاج الموت بالحياة والحياة بالموت في أبعاد التجربة الشعرية عند السياب، معبرا بدقة عن شعور غريزي بالخوف من الموت، فكأن حديثه عن هذا الامتزاج هو في حقيقة الأمر رثاء لنفسه.

كان السياب في تجربته الشعرية في قصائد جيكور يسعى إلى الانتصار على الموت الذي يلاحقه ويتربص به، بقدر ما حاول تخطي حواجز الحياة ومتاعبها، وجمع السياب بين ذكر الموت والحياة في مواطن كثيرة، ليظهر التضاد بينهما من خلال رؤيته الخاصة لهما، ودعوته لفكرة الحياة بالموت والموت بالحياة.

وكشفت الدراسة عن ارتباط نفسي وثيق بين الشاعر وجيكور؛ شكل هذا الارتباط تمازجاً نفسياً وإيديولوجيًا بين الشاعر والمكان، فقد شكلت هذه القرية (جيكور) عالماً متجذراً في نفسه، واضحت شاهدة على التناقض الوجودي الذي يجمع بين الموت والحياة.

ويضم البحث مقدمة، وثلاثة مباحث هي: دوافع ثنائية الموت والحياة وتداخل الموت والحياة وثنائية القرية والمدنية. وقد توصل الباحث إلى نتائج عدة منها؛ أن ثمة بواعث ودوافع عدة قادت السياب إلى ثنائية الموت والحياة، وكذلك منها الخارجي، ومنها الداخلي الذاتي وقد كمل كل منهما الآخر، وقد تمت الإشارة إلى هذه النتائج في خاتمة البحث.

مقدمة:

يحضر موضوع الموت والحياة حضوراً يمكن وصفه بالحضور الإنساني بكل ما تحمله الكلمة من دلالات وإيحاءات، يستوي في ذلك الإنسان البدائي القديم والمتمدن المعاصر.

هذا الحضور بامتداده وتعقيده وتناقضه بدأ حدثاً أو خلقاً –كما قال الله تعالى :"الذي خلق الموت والحياة"[١]

اشتباكاً عميقاً، يستدعي كثيراً من التأويل، ويستثير ما لا يحصى من الأسئلة والإشكاليات التي لا تزال–وستظل– تطارد العقل البشري الباحث عن الخلود والديمومة الدنيوية قبل البقاء الأبدي بعد الموت.

ويكشف الشعر – بوصفه أحد ألوان الإبداع – عن سيطرة هذه الثنائية عليه منذ مراحله الأولى، فقد دفعت هذه الثنائية (جلجامش) إلى البحث عن سر الخلود وعشبته عبر بكائية حارقة على مصير البشر، قائلاً لصديقه أنكيدو:

يا صديقي من ذا الذي يستطيع أن يرقى إلى السماء؟

فالآلهة وحدهم هم الذين يعيشون إلى الأبد مع الشمس

أما البشر فأيامهم معدودات

وكل ما عملوا يذهب مع الريح[٢]

ويبدو جلياً من خلال هذا القول ارتسام ثنائية متنافرة الطرفين، مترعة بالتناقض والانفصال بين شق إلهي ناعم بالسلطة، والخلود، وشق بشري مغلوب على أمره، رازح في قيود الزمن، والتناهي، والاستلاب، ومنسحق تحت وطأة النسيان، والاندثار.

هذا الملمح الأسطوري الذي رسمه (جلجامش) يجعل من الموت والحياة أبرز الثنائيات التي شغلت الشعراء –كغيرهم– على مر العصور، الأمر الذي دفع بالشعراء إلى الانتفاض وتأكيد الوجود، فكما انتقض جلجامش وثار "معلناً ابتداء عصر الإنسان الذي يرث الأرض، ويشق عباب الزمن الآتي كابن بار لإله، يطمح إلى الجلوس عن يمينه، لا كعبد مسلوب واقع في دائرة الميلاد، والموت، المفرغة شأن بقية الأحياء"[٣]. فكذلك ثار الشعراء العرب المعاصرون، فاتخذوا من الشعر سلاحاً يضمن لهم الحياة، والخلود في مواجهة مصير الموت المحتوم، فيقول درويش:

هزمتك يا موت القنون جميعها

هزمتك يا موت الأغاني في بلاد

الرافدين، مسلة المصري، مقبرة الفراعنة

النقوش على حجارة معبد هزمتك

وانتصرت، وافلت من كمائنك الخلود

فأصنع بنا واصنع بنفسك ما تريد[٤]

ومن بين الشعراء المعاصرين الذين تغنوا بثنائية الموت والحياة : بدر شاكر السياب الذي أرقته هذه الثنائية، فأدرك ما في الوجود من تناقضات، إذ كان عليه أن يواجه مصيرين متضادين إلى أبعد حد، تولدا بفعل انتصار الزمن على المكان/ جيكور، فأحس بالاستلاب واختراق الموت – بسبب تلازم المرض ومصاحبته له – وتقاطعه مع رحلة حياته بإصرار، وترصد كاد يبتلع كل شيء لولا أن أدركه بالإبداع والخلق الشعري، وبلغة أعمق تجلياتها في أثناء الكتابة، وتوهج اللحظات الشعرية التي يجعل الشاعر منها"أداة تخلق الرؤيا وإعادة صياغة العالم بالحلم المستحيل، والدفق الإنساني الذي يمسك بجوهر الوجود الهارب في تشظى الكلمات، وتقاطع الصور والأوضاع"[٥] ولا يتأتى هذا الفعل الإبداعي المفعم بتحدي الموت إلا لمن كان ذا فكر ممتاز على اتصال مباشر بالينبوع الأصلي للوجود، وذا حظ عميق من التعمق الباطن الذي تستحيل معه معرفة حقيقة هذه الثنائية إلى معرفة وحياة معاً؛[٦]وهذا ما يجعل من تلك الثنائية ذات حضور قوي في ديوان السياب خاصة قصائده في جيكور –موضع الدراسة–، تلك القرية الواقعة في جنوب العراق، والتي أكثر من ذكرها في شعره حتى فاقت شهرتها الآفاق؛ لأنها مهد صباه ومثوى أحبته خاصة أمه وجدته "واصبحت علاقته الآن مع جيكور علاقة مع التراب والقبور والنخيل"[٧] ومن ثم شكلت هذه القرية عالماً متجذراً في نفسه، واضحت شاهدة على التناقض الوجودي الذي يجمع بين الموت والحياة، فأدرك أنها شابت وشاخت ولا سبيل إلى عودتها على ما كانت عليه، وكأن الزمن "زحف به إلى اللارجوع، وقامت أمامه عقبات وتعقيدات لا جدوى من الانتصار عليها"[٨] ومع ذلك لم ييأس من بعثها من جديد، لتتحدى الزمن، فيقول:

جيكور .. ستولد جيكور

النور سيورق والنور

جيكور ستولد من جرحى

من غصة موتي، من ناري

سيفيض البيدر بالقمح

والجرن سيضحك للصبح

والقرية داراً عن دار

تتماوج أنغاماً حلوة

والشيخ ينام على الربوة

والنخل يوسوس أسراري

جيكور ستولد لكنّي

لن أخرج فيها من سجني ... (٩)

وبالتالي فإن حديث السياب عن جيكور هو في الحقيقة حديث عن ثنائية الموت، والحياة الكامنة بداخله، يطفو على السطح في التماعات تتجلى إبداعاً فنياً، محيلاً هذه الثنائية إلى انسجام، وائتلاف، وتلازم، أكثر من كونها جدلية وتناقض، لأنه لا وجود لإحداهما دون الآخر إذ "تعبر مفردتا الحياة والموت عن معنى مشترك، أو أنهما نمطان لحالة واحدة، بمعنى إن كل واحدة منها لا يكتمل معناها إلا بذكر الثانية، فكل منهما بحاجة إلى الأخرى، وهما متساويتان اصطلاحاً، متضادتان في المعنى"(١٠)

أسباب اختيار الموضوع:

ما يحفل به شعر السياب – بصفة عامة – من ثنائيات ضدية، وتوظيفه لثنائية الموت والحياة.

إن موضوع ثنائية الموت والحياة في قصائد السياب في جيكور خاصة أمر ملفت جدير بالدراسة لما يحمله من معان نفسية وفلسفية وتعبيرية.

الدراسات السابقة:

كثيرة هي الدراسات التي تناولت شعر السياب في مجالات متعددة وموضوعات مختلفة، ولعل من أبرزها:

١–رسالة ماجستير قدمها عيسى سلمان درويش، بعنوان: (الموت **في شعر السياب ونازك الملائكة**) تمت مناقشتها في جامعة بابل/ كلية التربية عام ٢٠٠٣م،

٢–رسالة دكتوراه بعنوان:(الحياة والموت في شعر الرواد) صادرة عن كلية التربية – الجامعة المستنصرية

٣– رسالة ماجستير بعنوان (دلالة الموت في الشعر العربي المعاصر – دراسة نصية في جدارية محمود درويش) صادرة عن كلية الآداب واللغات– جامعة الحاج لخضر – باتنة– عام ٢٠١٣م

٤-أثر مضمون الحياة والموت في بناء القصيدة في شعر بدر شاكر السياب) للدكتور عبدالباسط مراشدة.

هذا بالإضافة إلى بعض الدراسات الأخرى المتفرقة التي لامست قضية الموت والحياة في الشعر العربي المعاصر بشكل مباشر وأو غي مباشر.

ولكن ما يميز موضوع هذا البحث؛ أنه سيقتصر على الثنائية المتشكلة من الموت، والحياة في قصائد (جيكور)، دون غيرها، وما تجسده هذه القصائد، من حالة نفسية، وفلسفية عند السياب، من خلال ثنائية الموت والحياة.

منهج البحث:

يتخذ هذا البحث من المنهج الوصفي التحليلي مسباراً نقدياً لهذه الدراسة لاستجلاء اللمحات الفنية في قصائد جيكور في شعر السياب مع التركيز على ثنائية النظم اللغوية والعلاقات السياقية والإيحائية، إذ لا وجود للأدب وغيره من العلوم "إلّا في هذه العلاقات، وأن أي تغيير يحدث في العلاقة بين عنصرين ينتج عنه تغيير في النظام كله" (١١)

خطة البحث:

تأسيساً على ما قد انتقي من شعر السياب (قصائد جيكور) وما فيها من ثنائيات، تفرع البحث إلى مدخل، وثلاثة عناصر:

الأول : دوافع ثنائية الموت والحياة.

الثاني: تداخل الموت والحياة.

الثالث : ثنائية القرية والمدينة.

أولاً: دوافع الموت والحياة:

تعد ثنائية الموت والحياة عند السياب استجلاء لبواعث عدة داخلية وخارجية لم تكن وليدة اللحظة الراهنة، وإنما هي رواسب متراكمة أثرت في نظرته للموت والحياة وطبيعة الوجود من حوله، فانطبعت صورتها عليه، الأمر الذي مثل انعكاساً لموقف عام هو موقفه من العالم المحيط به، وهو موقف يوصف بأنه هو"علاقة الكائن الحي ببيئته وبالآخرين في وقت ومكان محدودين، وبهذه العلاقة يكشف الإنسان عما يحيط به"(١٢)

وقد ظهر السياب في عصر يموج بالمتناقضات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وقد دفعته هذه الحالة إلى التعبير عن حالة التناقض تلك، التي ظهرت جلية في حديث الموت والحياة في أشعاره عن جيكور، إذ صارت هذه الثنائية تجسيداً للموقف العام للعصر، الذي يستحيل بعد ذلك إلى عدد من المواقف الفنية الخاصة التي تعني بتصوير أزمة الشاعر/ الإنسان الداخلية

والخارجية وإذا كان "العصر يختار فنه، ولا يختار الفن عصره؛ لأن العصر هو ثقافة الناس وإنجازاتهم، وإيقاع الحياة التي يعيشونها، ومن ثم تختار أرواحهم وعقولهم فناً يناسب ثقافتهم وحياتهم، وظروفهم الاجتماعية والاقتصادية"[١٣] فن ثنائية الموت والحياة في شعر السياب في جيكور تأتي نتيجة لطبيعة للعصر الذي وجد فيه، والظروف التي أحاطت به؛ إذ تعد حياة السياب – على قصرها: ١٩٢٦-١٩٦٤ نموذجاً صارخاً لثنائية الموت والحياة التي عكستها أشعاره في قريته جيكور.

وعندما تصفحت ديوان السياب وتأملنا عنوان القصائد فيه بصفة عامة وقصائده في جيكور بصفة خاصة، وجدنا حضوراً واسعاً لهذه الثنائية، التي تقف وراءها دوافع وبواعث عدة بشقيها الداخلي (دوافع) والخارجي (بواعث)[١٤] قادت في النهاية إلى ملل السياب لحياته المبنية على الحزن والمرض، ومن ثم لا يمكن دراسة ثنائية الموت والحياة في قصائد جيكور إلا بالوقوف على الدوافع والبواعث التي حركت هذه الثنائية بداخل السياب، وأعطته القدرة على تشكيلها.

١- الدوافع السياسية:

تميز عصر السياب بالانهيار السياسي الذي ضرب العراق، وكان السياب على وعي تام بتلك الحالة التي آل إليها حال العراق، فانفعل بها وعايشها ورصدها بدقة، فتأثر بها وضجر من الحياة وضاق بها ذرعاً، فلم يجد متنفساً له سوى الشعر يبث فيه أحزانه، ويبكي على آماله الضائعة فيقول:

ولكم مررت بزهرة ذبلت ... فبكيت، حين بكيتها، أملى[١٥]

وما هذه النظرة التشاؤمية للحياة إلا أثراً من آثار الفساد السياسي الذي كشف حقيقته بعد انغماسه في الحياة السياسية وانضمامه إلى الحزب الشيوعي العراقي، وما نتج عن ذلك من مضايقات، ففر إلى إيران وظل بها أكثر من شهرين[١٦] وهو ما جسدته قصيدة (فرار عام ١٩٥٣)[١٧] كما أسلمه نشاطه السياسي إلى الاعتقال أكثر من مرة، فلم يكن بمستغرب أن يشعر بحالة من التناقض بسبب سوء الأوضاع السياسية وبسبب الطبقية المتفشية، بين شعب معظمه جائع عريان، وقلة مترفة، عبر عن ذلك بقوله في قصيدة (حطمت قيداً من قيود)[١٨]

حين التفت رأيت شعباً جائعاً ... عريان، يملأ جوفه بالماء يسقى الزروع دماً لتثرى "طغمته" ... تبنى سعادتها على الأشقاء وإذا تضجر "أطعمته" رصاصها .. و"كسته" بالأكفان والبغاء ولكن السياب الثائر لم ييأس من إصلاح هذا التناقض، فيعمل على استنهاض الهمم ويبشر بالثورة، فتأتي قصيدته (أنشودة المطر) منسجمة الفاظها وصورها مع الصراع المحتدم بين الموت والحياة، ولتكتب نهايتها بزوغ النور والخصيب[١٩].

ما مر عام والعراق ليس فيه جوع

مطر...

مطر...

مطر...

في كل قطرة من المطر

حمراء أو صفراء من أجنة الزهر

وكل دمعة من الجياع والعراة

وكل قطرة تراق من دم العبيد

فهي ابتسام في انتظام مبسم جديد

أو حلمة توردت على فم الوليد

في عالم الفتى، واهب الحياة !

مطر...

مطر...

مطر...

سيعشب العراق بالمطر...

ويهطل المطر...

لقد استعمل السياب رمز المطر استعمالاً ذكياً، حين جسد القيا/ الثورة بلفظة المطر الذي يتوقع الشاعر حدوثه في المستقبل (سيعشب العراق بالمطر)، وفي آخر القصيدة يستخدم الفعل المضارع (يهطل) للدلالة على الحال والمستقبل معاً، فهو صوت الثورة التي لا بقاء لها بدون دماء (من أجنة الزهر) ترسم الحياة الجديدة للعراق بألوان يمتزج فيها الأحمر والأصفر لونا الموت فـ"المطر يهطل دفعة إثر دفعة ... والرحى تدور في استخراج الغلال ... ولكنها تمزجها بقطران الدم، دم العبيد .. إلا أن دفقات الأمطار والدماء لابد أن تنداح كراتها وقطراتها من عالم فني جديد، فيه الحقيقة المغايرة، فيه البسمة والنور"[٢٠] فكان السقيا الربانية (المطر) لابد أن تعاضدها سقية أرضية (الدم) من أجل الحياة وذلك حين يستشري الفساد.

إن إحساس السياب بفساد الحياة السياسية من حوله؛ كان عاملاً قوياً في إحساسه بالتناقض والإحباط؛ بسبب التعارض بين ما يتمناه لوطنه العراق وبين ما هو عليه حقيقة، فجاء شعره بلون عصره "شعر أسود حزين .. في الكآبة والقلق والتشاؤم .. لا في حقائق الناس السياسية والاجتماعية وحدها، وإنما في حقائق الموت والحياة"[٢١].

٢- الدافع الاجتماعي:

لقد نتج عن فساد الحياة السياسية تردي لأوضاع المجتمع، وتفشي الكثير من الأدران الاجتماعية، مما كان له تأثير مباشر على السياب، فحاور إصلاح الواقع الاجتماعي بنقده، وتقويمه، إيماناً منه بأن للشعر "رسالة أخلاقية، والشاعر يتحدث فيه مباشرة إلى مجتمعه، ويعلن عن نقائصه من أجل انتزاع الاعتراف بها"[٢٢].

والسياب في شعره نجده مصلحاً اجتماعياً، فالصلة وثيقة بين ما يقوله وما يجده في الواقع الاجتماعي من مؤثرات جعلته يعبر عنها بما قال من خلال انفعاله بها.

والحقيقة أن الحياة الاجتماعية في عصر السياب لم تكن أقل سوءاً من الحياة السياسية "وكأنما عبث السياسة ألقى ظلاله على الناس فأذاع بينهم البغض والطمع ... وأخذت الصلات بينهم تضاءل تضاءلاً شديداً في سبيل رضا صاحب السلطان، أو في سبيل المنافع العاجلة، فأصبح النفاق والكذب السلعة التي لا تبور"[٢٣]

ومن الأدران الاجتماعية التي أثارت السياب، ازدواجية الظاهر، والباطن، أو الروح، والشهوة، فيقول في ثنائية الروح والجسد[٢٤]

الروح ليس بمشبه جثمانه ... لا تجزه بذنوب جسم خانه

يا رب جسم غارق في قبحه ... قد ضم روحاً زانه ما زانه

ولرب جسم معجب لك حسنه ... قد ضم روحاً شأنه ما شأنه

فالأبيات السابقة تحمل ازدواجيتين اجتماعيتين من تناقض في الشخصية وازدواجية فيها بين ظاهر معجب وباطن مخيب.

الأمر نفسه نجده في قول السياب في قصيدة (بورسعيد)[٢٥].

كم من ردى في حياة، وانخذال ردي .. في ميته، وانتصار جاء خذلان

يتجلى في البيت السياب الإنسان المدرك لثنائية الظاهر، الباطن، حين يصور العز الظاهري المنطوي على ذلك الظاهر كالحياة التي يكشف ظاهرها على أنها حياة والحقيقة إنها موت، تماماً كالانتصارات التي هي في حقيقتها خذلان، والهدف من كشف السياب لهذه الثنائية هو معرفته بأحوال الناس وطبائعهم، فمنهم من يهتم بالظاهر فيعيش حياة ذليلة، ومنهم من يعرفون الحقيقة الباطنة، فيحرصون على الحياة العزيزة ولو كان فيها الموت.

ومن ثم يمكن القول بأن للبيئة الاجتماعية التي أحاطت بالسياب وما تنطوي عليه من تناقضات دوراً ملموساً في اتجاهه التأملي إلى الحياة من حوله، وهو الاتجاه الذي نلمسه واضحاً

في ديوانه؛ لأنه رصد فيه كثيراً من التناقضات الاجتماعية، التي أعطت صورة واضحة لحياة الناس وأحوالهم في عصره خاصة ثنائيتي: الظاهر/ الباطن، والغنى/ الفقر.

٣- الدوافع الذاتية:

توافرت دوافع داخلية ذاتية شكلت في مجموعها أرضية مناسبة لثنائية الموت والحياة عند السياب، ساهمت في هدم الحدود الفاصلة بين الثنائيتين؛ من خلال ثلاث طرق "طريقة أساسية لمقاومة حقيقة الموت هي الأمل، وطريقة ثانية أساسية لمقاومة حقيقة الموت هي الحب، وطريقة ثالثة أكثر أساسية من كليهما في هذه المقاومة هي الكلمة الشعرية"[٢٦] وهي طرق تمثل حقيقة الذات الشاعرة وموقفها النفسي من ثنائية الموت والحياة.

ومن أهم الدوافع الذاتية التي قادت السياب إلى تناول ثنائية الموت والحياة، دافع اليتم، حيث اكتمل على السياب ثالوث اليتم بوفاة أحب الناس إليه، فقد أمه وهو في سن صغيرة قيل: وهو في سن السادسة، وقيل وهو في سن الرابعة[٢٧]فأحس بالتصدع النفسي والوحشة، خاصة أنه لم يجد جواباً عن تساؤلاته عن سبب غياب أمه سوى أنها ستعود غداً دون أن يأتي الغد، فيقول في (أنشودة المطر)

تثاءب المساء، والغيوم ما تزال
تسح ما تسح من دموعها الثقال
كأن طفلاً بات يهذي قبل أن ينام:
بأن أمه – التي أفاق منذ عام
فلم يجدها، ثم حين لج في السؤال
قالوا له : "بعد غد تعود ..."
لابد أن تعود
وإن تهامس الرفاق أنها هناك
في جانب التل تنام نومة اللحود

يتجلى في هذه السطور ثنائية الموت والحياة، موت الأم وخيال الطفولة بأنها ستعود على الحياة.

وقد وجد السياب راحته الكبرى في الحزن على أمه، فمزج صورتها بالأرض من حوله، فكلتاهما رمز للخصب والجمال[٢٨].

حيث يقول في قصيدة (أفياء جيكور)[٢٩]

أفياء جيكور أهواها

كأنها انسرحت من قبرها البالي،

من قبر أمي التي صارت أضالعها التعبى

وعيناها من أرض جيكور... ترعاني وارعاها

إن حضور الأم / الأرض (جيكور) يعد أملاً قاوم به السياب المرض وتعلق بالحياة، غير أن هذا الأمل سرعان ما يتبخر، ويحل محله الاستسلام لقوة الموت، فيقول في قصيدة (نداء الموت)[٣٠].

ولا شيء : لا إلى الموت يدعو ويصرخ، فيما يزول، خريف، شتاء، اصيل، أفول.

وباق هو الليل بعد انطفاء البروق

وباق هو الموت، أبقى وأخلد من كل ما في الحياة.

فيا قبرها افتح ذراعيك...

إني لأت بلا ضجة، دون آه !

لقد دفعه موت أمه إلى التأمل في الحياة من حوله، فتيقن أن كل ما فيها مصيره إلى الزوال والفناء.

وتوالى مثلث اليتم على السياب، فرحلت جدته (أمينة) التي كانت ترعاه بعد وفاة أمه، فازداد تمزقه الداخلي، وأحس بالشقاء بعد رحيلها، فكتب إلى صديقه خالد الشواف "حرمت عاطفة الأمومة ... ولكنني لم أحرم من صدر يضمني ويحنو علي" ولكنني لم أحرم جدتي، ومرت السنون وأنا أهفو على الحب، ولكني لم أنل منه شيئاً ولم أعرفه، وما حاجتي إلى الحب مادام هناك قلب لجدتي يخفق بحبي .. أفيرضى الزمن العاتي ... أيرضى القضاء أن تموت جدتي؟ فحرمت بذلك من آخر قلب يخفف بحبي ويحنو علي، أشقى من ضمت الأرض"[٣١].

وبفقد الجدة الحانية، فقد السياب الراعي له بعد رحيل أمه، فواجه مشاكل حياته منفرداً، فأحس بالتصدع النفسي والصراع المحتدم بين رغبة الحياة ودوافع الموت، وهذا ما عبر عنه في قصيدة (رثاء جدتي)[٣٢]

جدتي من أبث بعدك شكواي ...

طواني الأسى وقل معيني

أنت يامن فتحت قلبك ...

بالأمس لحبي أوصدت قبرك دوني

ويكتمل مثلث اليتم على السياب بوفاة الأب عام ١٩٦٣، هذا اليتم شعر به الشاعر في أثناء وجود الأب، الذي تزوج بعد وفاة الأم، فتحولت صورته في وعيه إلى "رمز للجحود والطغيان"[٣٣]

الأمر الذي أثر على نفسية الشاعر، فأحس أن الحياة قد استلبت منه الأم برحيلها، والأب بزواجه، وهذا ما عكسه السياب في قصيدة (خيالك) من قوله – رابطاً بين المأساتين[٣٤]

أبى ... منه قد جردتني النساء ... وأمي ... طواها الردى المعجل

وهذا يفسر لنا سبب عدم حضور السياب جنازة والده.[٣٥] وإن أظهر السياب شوقه له دون أن يبكي عليه، فهو يقول في قصيدة (لوي مكنس)[٣٦]

أبي مات لم أبك حزناً عليه

وإن جن قلبي

من الهم وانهد شوقاً إليه

هكذا وجد السياب بيته يتقوض وتتصدع أركانه مما ترك ندوباً بالغة الأثر في حياته، فأحس بالانكسار النفسي، فراح يلقي باللوم على استلاب الزمن وقهر الموت، اللذين سلبا منه أسرته، فيقول في قصيدة (رثاء جدتي)[٣٧]

لا تلمني فلست قد علم الله ... أرد القضاء لو يأتيني

ولم الموت والزمان الذي ... يسلب ما ترتجيه غير صنين

ومن الدوافع الذاتية الأخرى لثنائية الموت والحياة ما كان عليه السياب من قبح الشكل، مما سبب له سخرية الآخرين وفشله في العلاقات العاطفية، وقد كفانا إحسان عباس مؤنة البحث عن الشكل الخارجي للسياب، فقد وصف جسمه بالنحالة، وأنه يمتلك أذنين كبيرتين، وانف كبير، وعينين صغيرتين، وشفتين غليظتين[٣٨].

هذا الوصف أو لمامة الشكل جعل السياب يحس بأنه يعيش على هامش الحياة [٣٩] وأشعره بالدونية، ما نازعته ازدواجيتان : اقتحام الحياة والإحجام والخوف في الوقت نفسه.

وقد تركت هذه الازدواجية عائق الشكل أثراً نفسياً وسلوكياً على السياب، عبر عن ذلك بقوله في قصيدة (أمام باب الله) [٤٠]

صارخة أصواتنا الكسيرة

خناجراً تمزق الهواء بالأنين

وجوهنا اليباب

كأنها ما يرسم الأطفال من التراب،

لم تعرف الجمال والوسامة.

تقضت الطفولة، انطفأ سنا الشباب

وذاب كالغمامة،

ونحن نحمل الوجوه ذاتها،

لا تلفت العيون إذ تلوح العيون

ولا تشف عن نفوسنا، وليس تعكس التفاتها"

هذا النص يكشف فيه السياب صراحة عن افتقاره للوسامة والجمال الخارجي في مرحلتي الطفولة والشباب، الأمر الذي جعل العيون لا تلتفت إليه من دون أن تهتم بجوهره، مما سبب له الكثير من الإخفاقات في حياته فـ"معظم أزمات حياته كانت ناجمة عن إحساسه بعدم الوسامة ودمامة الشكل، وحاجته إلى امرأة تملأ عليه دنياه"(٤١). وتعوضه عن الحنان الذي افتقده بموته أمه وجدته فلم يكن بمستغرب – إذن – أن يشعر السياب في قرارة نفسه بالاحتقار، فإذا أضفنا إلى ذلك اليتم الذي عاشه، فيكون إحساسه بالمتناقضات والثنائيات من حوله أمراً مقبولاً.

أما الدافع الذاتي الذي يمثل مأساة حقيقية للسياب ودافعاً قوياً للإحساس بثنائية الموت والحياة من حوله، فيتمثل في إحساسه الدائم بالاغتراب، وهو دافع مشترك بين جميع الدوافع الذاتية، فقد كان السياب دائم الإحساس بالاغتراب بكل أشكاله الروحية والمكانية، فعاش في غربة موحشة، ضربت حصارها حوله، فلم يجد فكاكاً منها، فقد كان السياب يشعر بالاغتراب لدرجة اندماجه فيه، ومن ثم يمكن القول بأن "مأساة بدر تكمن في غربته ... غربته الأبدية عن أمه وعن أبيه وعن جدته، وان يعيش في مرحلة اشتد الصدام فيها بين القيم والواقع، وبين الماضي والحاضر، وكان هذا كله يجعله دائماً يبحث عن مثل أعلى ليس موجوداً، إنه يرفض أن يقبل الواقع؛ لأنه مؤلم .. لأنه الموت ... وزاد من شعور بدر بالغربة هجرته من الريف على المدينة، هنا يبدأ الضياع الكبير الذي ترك آثاره العميقة في مستقبله كله .. وهو في المدينة غريب، هذا ما يحس به، فيحلم بالليالي المقمرات وبالنخيل... يحلم بالرحيل إلى الريف"(٤٢)

ويبدو أن إحساس الغربة قد تملك السياب فلم يستطع الفرار منه، فقد تملكه – كما قال في إحدى رسائله – "شعور مبهم بالغربة"(٤٣)

وقد اتخذ اغتراب السياب أشكال عدة، منها الاغتراب المكاني عن العراق – بسبب مواقفه السياسية – بحثاً عن الأمان والعدل، إلا أنه لم يجد سوى السكون المؤدي إلى الموت، وهذا ما عبر عنه بقوله في قصيدة (لأني غريب) (٤٤)

لأني غريب

لأن العراق الحبيب

بعيد، وأني هنا في اشتياق

إليه، إليها ... أنادي : عراق

فيرجع لي من ندائي نحيب
تفجر عنه الصدى
أحس بأني عبرت المدى
إلى عالم من ردى لا يجيب
ندائي؛
وإما هززت الغصون
فما يتساقط غير الردى
حجار
حجار وما من ثمار،
وحتى العيون
حجار، وحتى الهواء الرطيب
حجار يندیه بعض الدم
حجار ندائي، وصخر فمي
ورجلاي ريح تجوب القفار
وفي قصيدة (غريب على الخليج) يصف السياب
حالة عدم التقبل المكاني، فصور نفسه بالمسيح الذي يحمل صليبه في المنفى[٤٥]
بين القرى المتهييات خطاي والمدن البعيدة غيبت تربتك الحبيبة
وحملتها فأنا المسيح يجر في المنفى صليبه

وعاش السياب غربة نفسية، فلم يستطع مواجهة سلبيات الحياة، فانسحب من المواجهة وبالأصح انسحب شاعر الروح / السياب من أمام شاعر الشهوة [٤٦]

وعانى السياب من الاغتراب الفكري، فسعى إلى مواجهة السلبيات، إلا أنه وجد نفسه وحيداً في المواجهة، فعبر عن ذلك في قصيدة (رسالة من مقبرة)[٤٧]

وعند بابي يصرخ المخبرون
س"وعر هو المرقى إلى الجلجلة
والصخر، يا سيزيف ما أثقله
سيزيف ... إن الصخرة الآخرون!"

فكما أن المسيح (عليه السلام) كابد وحده على جبل الجلجلة وكذلك كابد (سيزيف بحمل الصخر وحدة، فكذلك كان السياب وحده – متوحداً من هذين الرمزين – يحمل المعاناة والرغبة في التغيير.

وآخر أنواع الاغتراب التي عاناها السياب يتمثل في الاغتراب عن الذات من خلال ثنائية الذات /الذات، بحيث لا يجد التوحد والانسجام مع الذات، فينفصم عن ذاته، الأمر الذي دفعه إلى أن يهتف بقوله في قصيدة (يا غربة الروح) [٤٨]

يا غربة اروح .. لا شمس فائتلق

فيها ولا أفق

يعاني السيان من غربة الذات / الروح بحيث استحالت الحياة إلى ظلام (لا شمس) وإلى سكون وخواء وانعدام وجودي (لا أفق).

نخلص مما سبق إلى القول بأن ثمة دوافع خارجية كالأحوال السياسية والاجتماعية، وذاتية كاليتم والاغتراب والشكل وغيرها، قد ساهمت في تملك ثنائية الموت والحياة من السياب، وجعلها محوراً لقصائد ديوانه بصفة عامة ولقصائده في جيكور بصفة خاصة.

هذه الثنائية ما كانت لتظهر في ديوانه لولا أن وجدت الأرض الخصبة الملائمة للإنبات، هذه الارض تتمثل في شخصية السياب نفسه، فهي شخصية تتميز بتصارع المتناقضات داخلها والتي قادته إلى "ازدواجية في النفس والشعر"() فهو يحمل بداخله ثنائيات ضدية تعانق بعضها، فعاش انفصاماً داخلياً بين صورة القديس الذي يعطف على الحيوانات، وبين صورة مرتاد الخمر وأماكن البغاء[٤٩].

ثانياً : تداخل الموت والحياة:

يقصد بتداخل الموت والحياة معالجة السياب لفكرة الحياة من خلال الموت، والموت من خلال الحياة.

والمتأمل في القصائد والأشعار التي قالها السياب في (جيكور) يجد أن الشاعر يلح على فكرة التداخل بين المتضادين : الموت والحياة، من خلال التوحد مع شخصية المسيح (عليه السلام) لاستيعاب تجربته بما تحمله من تضحية وفداء، ولذا "فإن السياب قد جعلها تعبر عن حالته الفردية، بأن وحد بينها وبين عذابه وآلامه، وصولاً على تعميم الحالة وتوسيع دائرتها الإنسانية"[٥٠].

وفي المقطع التالي من قصيدة (المسيح بعد الصلب) يتحدث السياب عن فكرة الحياة من خلال الموت من خلال البعث الجديد لقريته جيكور، فيقول:[٥١]

حينما يزهر التوت والبرتقال،
حين تمتد "جيكور" حتى حدود الخيال،
حين يخضر عشباً يغني شذاها
والشموس التي أرضعتها سناها،
حين يخضر حتى دجاها،
يلمس الدفء قلبي، فيجري دمي في ثراها
قلبي الشمس إذ تنبض الشمس نورا،
قلبي الأرض، تنبض قمحاً، وزهراً وماء نميراً،
قلبي الماء، قلبي هو السنبل
موته البعث : يحيا بمن يأكل
في العجين الذي يستدير
ويدحى كنهد صغير، كثدى الحياه

اتحد السياب في المقطع السابق مع شخصية المسيح، بحيث صار السياب المسيح، والمسيح السياب، حين يتحدث عن قريته جيكور من خلال معجمه الشعري الخاص الذي يجعل فيه جيكور "تمتد حتى حدو الخيال، لتصبح "يوتوبيا" سيابية خاصة، كل شيء فيها أخضر حتى دجاها، وعندما يلمس الدفء قلبه يجري دمه في ثراها؛ لأن قلبه هو الشمس التي تنبض بالنور، وهو الأرض التي تنبض بالقمح والزهر والماء النمير، إن هذا القلب هو نفسه تموز، وهو في ذات الوقت السيد المسيح الذي سوف يحل في كل من يأكل ويشرب منه؛ لأنه اصبح هو العشاء الرباني"[٥٢]

أما بالنسبة لفكرة الموت من خلال الحياة، فيمكن القول إن مرض السياب كان من أبرز الظواهر التي تجلت فيها هذه الفكرة بعد أن تمكن يأس الشفاء منه، فأحس الموت يطبق عليه من كل جانب فكان ذلك إيذاناً و"توطئة لموت الجسد"[٥٣] الذي تسلل شبحه إلى عوالم السياب الثلاثة:

عالم الرؤيا، والمنام، والحلم[٥٤]؛بحيث صار الموت "هو البطل الحقيقي في حياة بدر، حيث كان يحس أن الموت يعيش فيه كما تعيش الحياة في أي فترة من فترات النهار"[٥٥]. فأدرك أن الموت قريب منه، فأطبق ياس البعث والحياة من جديد عليه، فيقول في قصيدة "العودة لجيكور" [٥٦].

نزع ولا موت،
نطق ولا صوت،

طلق ولا ميلاد،

تتعاقب في هذا المقطع ثنائيات ضدية؛ لتضيء المعنى المحوري الذي يهدف عليه الشاعر وهو انتصار الموت على الحياة، فأوقع السياب التضاد بالسلب، مما يكشف عن مدى المعاناة التي تعرض لها السياب وعن تأثره العميق بتجربة مرضه؛ تأثراً توضح أنه ما يزال متعلقاً بجيكور البعيد عنها، فيقول في (سفر أيوب)[٥٧].

بعيد عنك، في جيكور، عن بيتي وأطفالي

تشد مخالب الصوان والأسفلت والضجر

على قلبي، تمزق ما تبقى فيه من وتر

لم يكن أمام السياب – حين يأس من البعث – إلا أن ينتهي به الأمر إلى أن يستمد الصبر من أيوب (عليه السلام)، فيقول في (سفر أيوب عليه السلام)[٥٨].

أطفال أيوب من يرعاهم الآن؟

ضاعوا ضياع اليتامى في دجى شات

يا رب أرجع على أيوب ما كان

جيكور والشمس والأطفال راكضة بين النخيلات

وزوجة تتمارى وهي تبتسم

يتغنى السياب متضرعاً إلى الله أن يشفيه، "مستمداً من صبر أيوب صبراً، ومن شفائه .. أملاً في الشفاء"[٥٩]. فهو يلتقي مع أيوب (عليه السلام) في أمور ثلاثة: فراق الأهل والوطن، والمرض، والزوجة، فيضفي عليه بعض ملامح تجربته الخاصة "وكأن أيوب حقيقة هو الذي يشكو ويبوح ويهجى، ويأمل"[٦٠]. فإذا بريف جيكور يؤكد حضوره وكأنه يتأمل ماضيه من وقفة تأمل عميقة وهو يقاسي آلام الغربة والمرض، فيقول في (سفر أيوب)[٦١]

ذكرتك بالميعة والدجى ثلج وأمطار،

ولندن مات فيها الليل، مات تنفس النور

مريضاً كنت تثقل كاهلي والظهر أحجار،

أحن لريف جيكور

وأحلم بالعراق : وراء باب سدت الظلماء

باباً منه والبحر المزمجر قام كالسور

على دربي

وعلى الرغم من نبرة الأمل التي تسيطر المقطع السابق من عودة الشاعر إلى جيكور، إلى أن هذا الأمل يخبو ويضعف ويتلاشى، فيقف السياب موقف المتخاذل أمام الموت، فيقول في قصيدة (جيكور أمي)[٦٢].

كيف أمشي خطاي مزقها الداء ، كأني عمود

ملح يسير ...

أهي عامورة الغواية أم سادوم ؟

هيهات ... إنها جيكور:

جنة كان الصبي فيها وضاعت حين ضاعا

آه لو أن السنين الخضر عادت

آه لكن الصبي ولى وضاع،

الصبى والزمان لن يرجعا بعد،

فقري يا ذكريات ونامي

لقد عالج السياب فكرة تداخل الموت في الحياة والحياة في الموت وفق رؤية رومانسية، حاولت التوفيق بين الواقع المتردي وتلك الرومانسية، فإذا "كانت سمة النضج في رؤية أي شاعر تتركز في إدراكه لنسبية الحياة والموت وامتزاجها، بما يجعل هذا الامتزاج هو المطلب الوحيد، فإن السياب هو الشاعر الذي يندر أن تجد مثله بين شعراء العربية من أدرك يمثل نفاذه كمون الموت في الحياة وكمون الحياة في الموت"[٦٣].

في شعر السياب العديد من الأمثلة على ثنائية القرية (جيكور) والمدينة، بما ألبسه من صور خلابة على جيكور تناقض الصورة المشوهة التي عليها المدينة، مع أن الصراع القائم بينهما صراع غير متكافئ، وقصارى أمله أن يرجع إليها، فيقول مخاطباً لها في قصيدة (أفياء جيكور)[٦٤].

ردى أبا زيد، لم يصحب من الناس

خلا على السفر

إلا وما عاد

ردى السندباد وقد ألقته في جزر

يرتادها الرخ ريح ذات أمراس

تمثل هذه الأسطر لهفة السياب على جيكور، والحنين إلى الماضي وحكاياته فيها، والرغبة في الانفلات من ربقة المدينة، بكل ضجيجها وعيوبها.

والسياب حين ينشد ذلك إنما ينشد الملاذ الروحي حين حال بينهما دروب المدينة، فيقول في قصيدة (جيكور والمدينة) [٦٥].

وتلتف حولي دروب المدينة:

حبالاً من الطين يمضغن قلبي

ويعطين، عن جمرة فيه، طينه،

حبالاً من النار يجلدن عرى الحقول الحزينة،

ويحرقن جيكور في قاع روحي

ويزرعن فيها رماد الضغينة

ويدمج السياب بداية القصيدة السابقة بنهايتها فيقول:[٦٦]

وجيكور من دونها قام سور

وبوابة

واحتوتها سكينة

مما يظهر أن السياب وجيكور كلاهما سجين محاصر بدروب المدينة وسورها التي تشبه الأفعى[٦٧]فالسياب يرى أن المدينة منبع القسوة؛ في حين أن القرية / جيكور منبع اللين والعطف، وهو جانب تتصارع فيه الثنائيات، فالمدينة تحاول أن تزيح (جيكور) من روح الشاعر وتزرع الضغينة والحقد فيه.

ولا تعبر بداية القصيدة ونهايتها عن تبرم السياب وسخطه من مادية المدينة والحنين إلى القرية / جيكور ببساطتها وبراءتها فحسب، بل هي تعبير عن الحنين الأبدي إلى براءة الفطرة في جيكور، والضيق بمادية الحضارة في المدينة [٦٨]. تلك المادية التي تنصب للسياب ألواناً من المشاق حتى لا يصل إلى قريته من خلال القلاع والدهاليز الملتوية، بل واوصدت في وجه أبوابها[٦٩].

وجيكور ، من غلق الدور فيها – وجاء ابنها يطرق

الباب – دونه؟

يمد الكرى لي طريقاً إليها :

من القلب يمتد، عبر الدهاليز عبر الدجى والقلاع الحصية وهكذا ظلت جيكور رمزاً في أعمال السياب، فإلى جانب القصائد التي يحمل عنوانها اسم جيكور، لا تكاد قصيدة من قصائد الديوان تخلو من ذكر جيكور أو أجوائها الطبيعية في شعره.

ففي قصيدة (أفياء جيكور) يقول:[٧٠]

جيكور، جيكور، يا حقلاً من النور

يا جدولاً من فراشات نطاردها
في الليل، في عالم الأحلام والقمر
ينشرن أجنحة أندى من المطر
في أول الصيف
جيكور مسى جبيتي فهو ملتهب
مسيه بالسعف
والسنبل والترف

كما أنها البديل الروحي عن الأم التي فقدها في الصغر، فصارت جيكور وأمه شيئاً واحداً؛ فيقول في قصيدة (جيكور أمي): [٧١]

تلك أمي، وإن أجئها كسيحا
لاثماً أزهارها والماء فيها، والترابا

إن جيكور تتعمق وتتجذر في نفس السياب إلى أن تصل إلى مكانة مساوية للأم، وجذره الذي يمتد فيه، فيناديها[٧٢].

جيكور لمى عظامي، وانقضى كفني
من طينه، واغسلي بالجدول الجاري
قلبي الذي كان شباكاً على النار
لولاك يا وطني،
لولاك يا جنتي الخضراء، يا داري
لم تلق أوتاري
ريحاً فتنقل آهاتي وأشعاري
لولاك ما كان وجه الله من قدرى
أفياء جيكور نبع سال من بالي
ابل منها صدى روحي ...
أفياء جيكور أهواها
كأنها انسرحت من قبرها البالي،
من قبر أمي التي صارت أضالعها التعبى
وعيناها من ارض جيكور ... ترعاني وأرعاها.

إن لجوء السياب إلى الحديث عن جيكور/ القرية في مواجهة المدينة؛ يعبر في الحقيقة عن روح التضاد، والثنائية التي عاشها السياب بين الواقعين المتضادين، مما يجعل من تجربة السياب "فريدة متميزة بين التجارب، فقد نجح في أن يجعل من "جيكور" تلك القرية الصغيرة المتواضعة في جنوب العراق معلماً بارزاً من معالم شعرنا المعاصر، ورمزاً أساسياً من رموزه الفنية، وذلك بما أضفى عليها من دلالات، وما فجر فيها من طاقات وإيحاء، وإشعاع، فكانت جيكور في شعره كله هي الملجأ الروحي الأمين الذي يلجأ إليه بروحه، ويلقى بحمولة همومه بين أحضانه فيجد الأمن والطمأنينة، والحنو الصادق العميق"(٧٣).

الخاتمة:

لا شك أن الأدب تجربة عميقة خالدة، تتوافر فيها عناصر متعددة، تسهم في تشكيلها، ومن هذا المنطلق، جاء هذا البحث؛ ليكشف عن جانب جديد من جوانب الإبداع، في التجربة الشعرية عند السياب؛ من خلال دراسة ثنائية الموت والحياة في قصائد جيكور، دراسة وصفية تحليلية للكشف عن الإيحاءات العميقة المتجلية في قصائد السياب في جيكور.

تجلت ثنائية الموت والحياة في قصائد جيكور، بل وكانت اساس بنائها، ومن هنا فقد حاولت الدراسة تجليت الدوافع والبواعث وراء هذه الثنائية، وامتزاج الموت بالحياة والحياة بالموت، وثنائية القرية والمدينة.

وقد توصل الباحث نتائج عدة منها:

ثمة بواعث ودوافع عدة قادت السياب إلى ثنائية الموت والحياة منها الخارجي، ومنها الداخلي الذاتي؛ وقد كمل كل منهما الآخر في تكوين رؤية واضحة عن الأسباب التي دفعت السياب إلى تناول هذه الثنائية في قصائده.

تتضح أبعاد التجربة السيابية لامتزاج الموت بالحياة والحياة بالموت، معبرة بدقة عن شعور غريزي بالخوف من الموت، فكأن حديثه عن هذا الامتزاج هو في حقيقة الأمر رثاء لنفسه.

كان السياب في تجربته الشعرية في قصائد جيكور يسعى إلى الانتصار على الموت الذي يلاحقه ويتربص به، بقدر ما حاول تخطي حواجز الحياة ومتاعبها.

جمع السياب بين ذكر الموت والحياة في مواطن كثيرة، ليظهر التضاد بينهما من خلال رؤيته الخاصة لهما، ودعوته لفكرة الحياة بالموت والموت بالحياة.

كشفت الدراسة عن ارتباط نفسي وثيق بين الشاعر وجيكور؛ شكل هذا الارتباط تمازجاً نفسياً وإيديولوجيًا بين الشاعر والمكان.

نجد السياب في بعض قصائده يتخذ من الحياة والأحياء من حوله معادلاً موضوعياً لحالته أو علاقاته بالحياة والأحياء.

تتنوع إيحاءات جيكور وتتعدد على نحو يستلزم دراسة خاصة لجيكور في شعر السياب، رغم الدراسات المتعددة التي تناولت شعره؛ إلا أن قصائده في جيكور تظل منهلاً خصباً، للكشف عن مزيد من الظواهر الفنية في شعر السياب.

الهوامش

(١) سورة تبارك من الآية [٢]
(٢) ملحمة جلجامش، ترجمة : طه باقر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨٠، ص٩٧.
(٣) فراس السواح، ملحمة الرافدين الخالدة، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٦، ص٢٣٩.
(٤) محمود درويش، الجدارية، دار رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٠، ص٥٤-٥٥.
(٥) صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٥، ص١٦٤.
(٦) ينظر، عبدالرحمن بدوي، الموت والعبقرية، دار القلم، بيروت، د.ت، ص٥.
(٧) اجي علوش، السياب ... شيء من حياته، مقدمة ديوان السياب، دار العودة، بيروت، ١٨/٢٠١٦، وهي الطبعة التي اعتمدنا عليها في هذا البحث.
(٨) إيليا حاوى، بدر شاكر السياب، دار الكتاب اللبناني بيروت، ١٩٨٠، ٢٧/٤.
(٩) الديوان، ٧٣/٢.
(١٠) نضال الزبيدي، الثنائيات المتضادة في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلام، دار الينابيع، ٢٠١٠، ص٢١.
(١١) عبدالسلام المسدي، قضية البنيوية، دراسة ونماذج، دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩٩٥، ص٩٨.
(١٢) محمد غنيمي هلال، المواقف الأدبية، نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٢، ص٢٥.
(١٣) فؤاد قنديل، فن كتابة القصة، سلسلة كتابات نقدية (١٢٣) الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢، ص٧٣.
(١٤) الدافع حالة داخلية، أما الباعث فحالة خارجية، ينظر، أحمد عزت راجح، علم النفس، المكتب المصري الحديث الإسكندرية، د.ت ص٦٨-٧٠ وإن كنت لا أؤمن بهذا الفصل التعسفي بين الدافع والباعث، لأن كليهما يكمل صورة حياة السياب، فلا سبيل لدراسة أحدهما دون الآخر، فالجانبان مقصودان فكلاهما وسيلة للآخر، فلا إمكانية للنفوذ إلى الدفاع الذاتي إلا بالمرور بما هو خارجي.
(١٥) الديوان، ٣٨٩/١.
(١٦) ينظر، إحسان عباس، بدر شاكر السياب، دراسة في حياته وشعره، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٢، ص١٢٧.
(١٧) الديوان ٢٧٢/٢-٢٧٤.
(١٨) ينظر، مقدمة الديوان ٢٣/١، وايضاً: عيسى بلاطة، بدر شاكر السياب، حياته وشعره، دار النهار، بيروت ١٩٧١، ص٤٥
(١٩) الديوان، ٢٤٧/١.
(٢٠) السابق ١٢٥/٢-١٢٦.
(٢١) إحسان عباس، بدر شاكر السياب، سابق، ص٢١٠.
(٢٢) شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي، دار المعارف، ١٩٧٦، ص١٠٧.
(٢٣) إليزابيث دور، الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، ترجمة : محمد إبراهيم، منشورات منيمنة بالاشتراك مع مؤسسة فرنلكين، بيروت – نيويورك، ١٩٦١، ص١٩١.
(٢٤) شوقي ضيف، فصول في الشعر والنقد، دار المعارف، ١٩٧١، ص١٠٩.
(٢٥) الديوان ٤٢٣/١.
(٢٦) الديوان ١٣٥/٢.
(٢٧) فؤاد رفقة، الشعر والموت، دار النهار، بيروت، ١٩٧٢، ص ١٩

(٢٨) ينظر مقدمة الديوان ١٢/١، وايضاً، إحسان عباس، بدر شاكر السياب، سابق ص١٦، وماجد السامرائي، رسائل السياب، جمع وإعداد، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ١٩٩٤، ص١١.
(٢٩) الديوان ١٢٢/٢.
(٣٠) ينظر، أحمد كمال زكي، الأساطير دراسة حضارية مقارنة، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩، ص٥٣.
(٣١) الديوان، ٢٦٤/٢.
(٣٢) الديوان، ٢٩٣/٢.
(٣٣) ماجد السامرائي، رسائل السياب، سابق، ص٣٦.
(٣٤) الديوان ٩٨/١.
(٣٥) عاصم الجندي، بدر شاكر السياب، شاعر المأساة والحداثة، دار المسيرة، بيروت، ١٩٩٣، ص١٣.
(٣٦) الديوان ١٢١/١.
(٣٧) ينظر، عيسى بلاطة، بدر شاكر السياب، سابق، ص١٥٢.
(٣٨) إحسان عباس، بدر شاكر السياب، سابق، ص١٥.
(٣٩) الديوان ٩٨/١.
(٤٠) إحسان عباس، بدر شاكر السياب، سابق، ص١٥.
(٤١) ينظر، ماجد السامرائي، رسائل السياب، سابق، ص٢٣٢.
(٤٢) الديوان ٢٢٥/٢-٢٢٦.
(٤٣) إحسان عباس، بدر شاكر السياب ص١٥.
(٤٤) مقدمة الديوان ٦١/١-٦٢.
(٤٥) رسائل السياب، ص٨٤.
(٤٦) الديوان ٢٦٨/٢.
(٤٧) الديوان ٩/٢.
(٤٨) ينظر ثنائية الجسد والروح ٤١٢/١-٤٢٥.
(٤٩) الديوان ٥٩/٢.
(٥٠) الديوان ٤٠٠/٢.
(٥١) أحمد عودة الله، الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب، دار عمار، الأردن، ١٩٨٧، ص١٥٩.
(٥٢) ينظر، حسن توفيق، شعر بدر شاكر السياب، دراسة فنية وفكرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩، ص١٩٥.
(٥٣) عبدالرضا علي، الأسطورة في شعر السياب، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٧٨، ص١٢٧.
(٥٤) الديوان ١٠٨/٢-١٠٩.
(٥٥) عبد الرضا علي، الأسطورة في شعر السياب، سابق، ص١٢٨.
(٥٦) عبدالجبار عباس، السياب، وزارة الإعلام، بغداد ١٩٧١، ص٢٣١.
(٥٧) ينظر، ماجد السامرائي، رسائل السياب، سابق، ص٩٨.
(٥٨) عبدالجبار عباس، السياب، سابق، ص٢٤٢.
(٥٩) الديوان ٨٢/٢.
(٦٠) الديوان ٣٠٥/٢.
(٦١) الديوان ٣٠٧/٢.
(٦٢) أنس داود، الأسطورة ي الشعر العربي الحديث، دار الجيل، ١٩٧٥، ص٢٩٢.
(٦٣) علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار غريب، ٢٠٠٦، ص١١٥.
(٦٤) الديوان ٣١٦/٢.
(٦٥) الديوان ٣٩٨/٢-٣٩٣.
(٦٦) عبدالجبار عباس، السياب، سابق، ص٢٤٣.
(٦٧) الديوان ٢٦٣/٢.
(٦٨) الديوان ٧٥/٢.

(٦٩) الديوان ٢/٧٩.
(٧٠) ينظر، على عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ٢٠٠٢، ص٣٦-٣٩.
(٧١) ينظر، السابق، ص٣٦.
((٧٢) الديوان ٢/٣٩٣.
(٧٣) ماجد السامرائي، جواد سليم والسياب اللقاء على أرض مشتركة، مجلة الأقلام، ع١، بغداد، ١٩٨٧، ص٢١.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.
السياب، بدر شاكر ، ديوانه، دار العودة، بيروت، ٢٠١٦.
•درويش، عيسى. الموت في شعر السياب ونازك الملائكة. رسالة جامعية تمت مناقشتها في جامعة بابل/ كلية التربية عام ٢٠٠٣م،
•رسالة دكتوراه بعنوان:(الحياة والموت في شعر الرواد) صادرة عن كلية التربية – الجامعة المستنصرية
• رسالة ماجستير بعنوان (دلالة الموت في الشعر العربي المعاصر – دراسة نصية في جدارية محمود درويش) صادرة عن كلية الآداب واللغات– جامعة الحاج لخضر – باتنة– عام ٢٠١٣م
•مراشدة، عبد الباسط.. أثر مضمون الحياة والموت في بناء القصيدة في شعر بدر شاكر السياب.دار ورد، ٢٠٠٥م.
•عباس، إحسان .بدر شاكر السياب– دراسة في حياته وشعره. المؤسسة العربية للدراسات، والنشر، بيروت، ١٩٩٢.
•راجح، أحمد. علم النفس، المكتب المصري الحديث. الإسكندرية، د.ت.
•عودة الله، أحمد. الاغتراب في شعر السياب. دار عمار، الأردن، ١٩٨٧.
•أحمد كمال، الأساطير، دراسة حضارية مقارنة، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩.
•إليزابيث دور. الشعر كيف نفهمه ونتذوقه. ترجمة : محمد إبراهيم، منشورات منيمنة، بيروت، ١٩٦١.
•أنس داود، الأسطورة في الشعر العربي الحديث، دار الجيل، ١٩٧٥.
•حاوى، إيليا. بدر شاكر السياب. دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠.
•توفيق، حسن. شعر بدر شاكر السياب– دراسة فنية وفكرية. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩.
•ضيف، شوقي. دراسات في الشعر العربي. دار المعارف، ١٩٧٦.
•ضيف، شوقي. فصول في الشعر والنقد. دار المعارف، ١٩٧١.
•فضل صلاح. أساليب الشعرية المعاصرة. دار الآداب، بيروت، ١٩٩٥.
•الجندي، عاصم. بدر شاكر السياب– شاعر المأساة والحداثة. دار المسيرة، بيروت، ١٩٩٣.
•عباس، عبدالجبار. السياب. وزارة الإعلام، بغداد ، ١٩٧١.
•بدوي، عبدالرحمن. الموت والعبقرية. دار القلم، بيروت، د.ت.
•علي، عبد الرضا. الأسطورة في شعر السياب. وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٧٨.
•زايد، علي عشري. استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر. دار غريب، ٢٠٠٦.
•زايد، علي عشري. عن بناء القصيدة العربية الحديثة. مكتبة ابن سينا، ٢٠٠٢.
•بلاطة، عيسى. بدر شاكر السياب، حياته وشعره. دار النهار، بيروت، ١٩٧١.
•السواح، فراس. ملحمة الرافدين الخالدة. دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٦.
•رفقة، فؤاد. الشعر والموت. دار النهار، بيروت، ١٩٧٢.
•قنديل، . فن كتابة القصة، سلسلة كتابات نقدية. (١٢٣) الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢.
•ماجد السامرائي، جواد سليم والسياب، اللقاء على أرض مشتركة، مجلة الأقلام، ع١، بغداد، ١٩٨٧.
•السامرائي، ماجد. رسائل السياب– جمع وإعداد. المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ١٩٩٤.
•هلال، محمد غنيمي. المواقف الأدبية. نهضة مصر للطباعة، ١٩٩٢.

•درويش، محمود. الجدارية. دار رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٠.
•ملحمة جلجامش، ترجمة : طه باقر، منشورات وزارة الثقافة، والإعلام، العراق، ١٩٨٠.
•الزبيدي، نضال. الثنائيات المتضادة في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلامي، دار الينابيع، ٢٠١٠.

Sources and references

First: the catcher:
The Holy Quran.
Badr Shaker Al-Sayyab, his collection, Dar Al-Awda, Beirut, 2016.
Second: References:
• Ihssan Abbas, Badr Shaker Al-Sayyab, A Study of His Life and Poetry, The Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 1992.
• Ahmed Ezzat Rajeh, Psychology, The Modern Egyptian Office, Alexandria, D.t.
• Ahmad Oudeh Allah, Alienation in the Poetry of Al-Sayyab, Dar Ammar, Jordan, 1987.
• Ahmed Kamal, Al-Asastur, a comparative cultural study, Dar Al-Awda, Beirut, 1979
• Elizabeth Dor, "Poetry, How to Understand it and Taste it," Translated by: Muhammad Ibrahim, Mneimneh Publications, Beirut, 1961.
• Anas Daoud, The Legend in Modern Arabic Poetry, Dar Al-Jeel, 1975.
• Elia Hawi, Badr Shaker Al-Sayyab, Lebanese Book House, Beirut, 1980.
• Sun Tawfiq, Badr Shaker Al-Sayyab's Poetry, An Artistic and Intellectual Study, The Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 1979.
• Shawky Dhaif, Studies in Arabic Poetry, Dar Al Maaref, 1976.
• Shawky Dhaif, Chapters in Poetry and Criticism, Dar Al Maaref, 1971.
• Salah Fadl, Styles of Contemporary Poetry, Dar Al Adab, Beirut, 1995.
Darwish, Issa. Death in the poetry of Al-Sayyab and Nazik Al-Malaika. University thesis discussed in the University of Babylon / College of Education in 2003 AD

• PhD thesis entitled: (Life and Death in the Poetry of the Pioneers) issued by the College of Education - Al-Mustansiriya University
Master Thesis entitled (The Significance of Death in Contemporary Arabic Poetry - Textual Study in Mahmoud Darwish's Mural) issued by the Faculty of Arts and Languages - Haji Lakhdar University - Batna - in 2013
Marashda, Abdul Basit ... The Impact of the Content of Life and Death on the Building of the Poem on Badr Shakir Al-Sayyab's Poetry, Dar Ward, 2005